آليات تلقي الخطاب الصوفي عند آمنة بعلى في كتابها "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة"

The reception mechanisms of the Sufi discourse in Amina Belaal's ''the analysis of the Sufi discourse in the light of modern criticism methodologies''

حياة بوشليف*

جامعة جيجل، (الجزائر)، haybouc20@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/05/05 تاريخ القبول:2021/06/17 تاريخ النشر:2021/07/15

ملخص:

لقد أضحى الخطاب الصوفي محلَ اهتمام النقاد، وفتح أمامهم إمكانية قراءته بمناهج حداثية، تدل على أن لتراثنا من العظمة ما يمكنه من الاستجابة للفكر النقدي المعاصر. ولا شك أن كتاب الناقدة الجزائرية "آمنة بلعلى" "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" يفتح آفاقا جديدة في التعامل مع الخطاب الصوفي، وخاصة بالاستناد على نظرية التلقي.

انطلاقا من هنا حاولنا الولوج إلى كتاب الناقدة، بغية الكشف عن الآليات النقدية التي قاربت بها هذا الخطاب بالاعتماد على مفاهيم نظرية التلقي، وذلك من أجل معرفة الإسهامات النقدية للباحثة في هذا المجال خاصة في الساحة النقدية العربية، لنصل إلى أنها قد استعانت بأهم مفاهيم نظرية التلقي كمفهوم "التفاعل" "المسافة الجمالية" "أفق الانتظار"، "التواصل".

الكلمات المفتاحية: خطاب صوفي؛ إشكالية التلقي؛ مسافة جمالية ؛ تواصل.

Abstract:

The mystical or the Sufi discourse has actually interested critics and enabled them to comprehend it on the basis of modern methodologies. Certainly, this indicates that our heritage is great enough to respond to modern criticism thought. ''The analysis of the Sufi discourse in the light of modern criticism methodologies'' by the Algerian critic Amina Belaala has opened new horizons for treating the mystical discourse particularly in the light of theory of reception. Therefore, our study attempted to explore that book and examine the author's mechanisms followed to deal with this discourse according to the concepts of the reception theory. This is to discover how the Belaala contributed to the field of criticism in the Arab world. Consequently, we found that she utilized concepts like: 'interaction', 'aesthetic distance', 'horizon of expectation' 'communication'.

Keywords: Mystical or Sufi discourse, problematic of perception, aesthetic distance, communication.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

شكّل الخطاب الصوفي منعطفا تاريخيا كبيرا في الثقافة العربية، لما أحدثه من إشكالات واختلافات في الرؤى النقدية والفكرية التي دارت حوله، وعليه تعد قراءة وتلقي الخطاب الصوفي من أصعب الأعمال التي يحتاج السائر فيها إلى مواصفات معينة؛ لأنه من الصعب أن نتحول إلى متصوف من أجل دراسته وفهمه، كما أنه من التعسف إصدار أحكام ذاتية بخصوص هذا الخطاب، لا تتجاوز ظاهر الكلمات ودون إعمال للفكر والنظر والتدبر، أو دون تفعيل لآليات التأويل وقوفا على مقاصد ومعاني الخطاب الصوفي.

كما أن ارتباط الخطاب الصوفي بتجربة تكتنفها الأسرار من كل جانب، واعتمادها على استحداث لغة بديلة قوامها الإشارة والتشفير، جعل القلة من الكتب حاولت الاقتراب من هذا الخطاب ومساءلته من منظور النقد الحديث، رغم الكم الهائل الذي أنتجه هذا الخطاب الضارب في القدم.

فانطلاقا من هذا القصور المنهجي في التعامل مع الخطاب الصوفي، ارتفعت دعوات عربية تندد بضرورة التعامل معه بمنهجية حداثية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: دعوة الناقد المغربي "مُحَمَّد مفتاح" من خلال مجموعة من أبحاثه حول التصوف(دينامية النص، التلقي والتأويل)، إضافة إلى بعض الباحثين مثل:"أدونيس" في بعض كتبه مثل "الصوفية والسريالية"، و"نصر حامد أبو زيد" خاصة في كتابه "فلسفة التأويل عند ابن عربي"، إضافة إلى "طه عبد الرحمن" في كتابه" في أصول الحوار وتجديد علم الكلام" (بلعلى،2009: ص9)

والجدير بالذكر أن هذه الدعوات قد وجدت لها آذانا صاغية للعمل بها نذكر منها : دراسة الناقد "سعيد الوكيل" الموسومة بـ"تحليل الخطاب السردي معارج ابن عربي نموذجا"، والعديد من الأبحاث والدراسات؛ خاصة رسائل الماجستير والدكتوراه التي قاربت الخطاب الصوفي بالاعتماد على مناهج حداثية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أطروحة دكتوراه بعنوان: الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة، ابن الفارض أنموذجا، إعداد بولشعار مرسلي، إشراف أحمد مسعود، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014م، 2015م.
- أطروحة دكتوراه بعنوان: التأويل وإنتاج الدلالة في النص الصوفي ابن عربي أنموذجا، إعداد رشيد عمران إشراف مُحَمَّد بوعمامة، جامعة باتنة1، 2016،م2017م.
- أطروحة دكتوراه بعنوان: تلقي الخطاب الصوفي في النقد العربي بين القديم والحديث، إعداد: سمراء لبصير، إشراف فتحي بوخالفة، جامعة مُحَمَّد بوضياف، المسيلة، 2017م، 2018م.
- مذكرة ماجستير بعنوان: التلقي في الخطاب الصوفي وأبعاده التواصلية ، الإشارات الإلاهية للتوحيدي نموذجا، إعداد بن حشفة خديجة، إشراف حنيفي بن ناصر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2009م، 2010م.
- مذكرة ماجستير بعنوان: بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي، إعداد حسن صوالحية، إشراف اسماعيل زردومي، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2010م، 2011م

ولكن رغم ورود هذا الكم الهائل من الدراسات التي قاربت الخطاب الصوفي بمناهج حداثية ،إلا أن هناك القليل ممن طبقوا نظرية التلقي؛ نظرا لصعوبة التعامل مع تلك الآراء النظرية، فيما يشبه محاولة التعاطي مع السهل الممتنع، وكذا قلة المراجع التطبيقية لمفاهيم هذه النظرية.

ولعل دراسة الناقدة الجزائرية "آمنة بلعلى" الموسومة بـ"تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" تعد أنموذجا لتطبيقات نظرية التلقي حول الخطاب الصوفي.

إن الناقدة في هذه الدراسة لم تقتصر على منهج واحد؛ بل اعتمدت على توليفة من المناهج النقدية المعاصرة في مقاربتها للخطاب الصوفي؛ إذ حاولت تقديم قراءة أخرى معاصرة جديدة للخطاب الصوفي، مركزة أولا على فهمها للمناهج النقدية الغربية المعاصرة، وثانيا على تراثها الذي غار في أعماق دراساتها ليتزاوجا فيصبحا قدرة على استنطاق النص بروح علمية وموضوعية تواكب الركب الغربي المرتقي على سدَة السلطة النقدية.

ولكن ما نطمح له هو البحث عن تطبيقات نظرية التلقي في دراستها السالفة الذكر، وذلك بالإجابة على الإشكالات التالية:

- كيف صاغت الناقدة إشكالية التلقي لهذا الخطاب؟
- وما هي أهم مفاهيم نظرية التلقي التي اعتمدت عليها الناقدة في مقاربتها للخطاب الصوفي؟ وكيف تم استثمارها في الكشف عن أسباب إشكالية التلقي الإيديولوجية والسياسية والجمالية؟

وقد استعنا في ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي المناسب لهذه الدراسة.

1- أهم مفاهيم نظرية التلقي التي اعتمدت عليها "آمنة بلعلى" في تحليلها للخطاب الصوفي:

بداية لا بد من الإشارة إلى أن الناقدة قد استعانت بأهم مفاهيم نظرية التلقي في الفصل الأول من الدراسة "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة"، والموسوم بـ "وضع التلقي في خطاب فعل الحب"، والفصل الثاني أيضا والمعنون بـ "البديل الخطابي للتواصل"؛ والمتمثلة في "مفهوم التفاعل"، و "أفق الانتظار" و"المسافة الجمالية"، و"التواصل" .

سنحاول في هذه الدراسة أولا التعرف على المفاهيم الخاصة بنظرية التلقي التي اعتمدت عليها الناقدة في مقاربتها للخطاب الصوفي، والتي سبق الإشارة إليها ،ثم نعمد بعد ذلك إلى معرفة الآليات التي قاربت بها هذا الخطاب انطلاقا من تلك المفاهيم.

1.1. مفهوم التفاعل (Interaction) :

قبل التعرف على مفهوم التفاعل، لا بد من معرفة الأرضية التي انبثق منها هذا المفهوم ؛ والمتمثلة في نظرية التلقي، فما المقصود بنظرية التلقي أو جمالية التلقي؟

تعد نظرية التلقي(Reception Theory) أو نظرية الاستقبال، أو نقد استجابة القارئ مصطلحات لمفهوم واحد، وضع هيكلها النظري رائدا مدرسة كونستانز الألمانية "هانس روبيرت ياوس"" Hans Robert Jaus"و " فولفغانغ إيزر" " Wolfgang Iser " وهي:" نظرية توفيقية تجمع بين جمالية النص وجمالية تلقيه، استنادا إلى تجاوبات المتلقي وردود فعله باعتباره عنصرا فعالا وحيا، يقوم بينه وبين النص الجمالي تواصل وتفاعل فني ينتج عنهما تأثر نفسي ودهشة انفعالية، ثم تفسير وتأويل، فحكم جمالي استنادا إلى موضوع جمالي

ذي علاقة بالوعي الجمعي."(سمير، 2005: ص 19) فنظرية التلقي إذن تعيد للقارئ والمتلقي عامة بعض الحقوق في الفهم والتفسير والتأويل؛ إذ أخذ المتلقي مكانه كفاعل ومشارك في صناعة المعنى.

إن هذا التصور النقدي الذي يلعب فيه المتلقي أو القارئ الدور المركزي في تشكل العمل الأدبي، والذي تدعو إليه نظرية التلقي، لا ينفي وجود آراء سابقة التفت أصحابها إلى القارئ (سارتر وبريخيت وبودلبير..)؛ إلا أنها لم ترق إلى مستوى تنظيرات "جمالية التلقي"، لأن هذه الأخيرة تعاملت مع مسألة القراءة والقارئ بوعي نظري مؤسس على أدوات إجرائية ذات أسس متماسكة، وتنبني هذه النظرية على ثقافة واسعة مستمدة من حقول معرفية عديدة، تعتمد على الحوار، منها: البحث البنيوي و الشعرية البنيوية، والتأويلية والظاهراتية والأرسطية والكانطية والتحليل النفسي ونظرية التفاعل، والمنهج التجريبي والفلسفة الماركسية.(أوشان،2000: ص 102،101) فالأساس النظري لجمالية التلقي يستند إلى مرجعية ذات مصادر معرفية متنوعة، مما يجعل منها منهجا منفتحا غير منغلق ولا نهائي.

كما تجدر بنا الإشارة إلى أن جمالية التلقي تشترك مع نظريات ما بعد البنيوية، في عدد من القضايا "كمفهوم "العمل المفتوح"(أو Opera aperta بتعبير أومبيرتو إيكو) ورفض مركزية العلم وردَ الاعتبار للذات وإعادة تقييم النص الأدبي من خلال وظيفته كعامل تغيير اجتماعي."(هانس،2016: ص 115)

أما عن **مفهوم التفاعل(Interaction**) ؛ التفاعل بين بنية النص والمتلقي، فيعد من أهم المفاهيم التي ركَز عليها المنظَر الألماني "إيزر" في قراءته للعمل الأدبي، إذ « إن الشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه (...) ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبي قطبين، قد نسميهما: القطب الفني والقطب الجمالي، الأول هو نص المؤلف، والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ. وفي ضوء هذا التقاطب يتضح أن العمل ذاته لا يمكن أن يكون مطابقا لا للنص ولا لتحقيقه بل لا بد أن يكون واقعا في مكان ما بينهما. يجب حتما أن يكون العمل الأدبي فاعلا في طبيعتهما ما دام لا يمكن اختزاله لا إلى واقع النص ولا إلى ذاتية القارئ. وهو يستمد حيويته من هذه الفعالية » (فولفغانغ،1995: ص 12) وهذا ما يؤكد الأهمية القصوى للعلاقة التفاعلية بين القطبين النص/ القارئ في تحقيق العمل الأدبي.

ويؤكد "روبرت هولب" « Robert Holub » نفس الفكرة بقوله: "إن العمل الأدبي ليس نصا تماما وليس ذاتية القارئ تماما، ولكنه يشملهما مجتمعين أو مندمجين. » (هولب،2000: ص 135) فالعمل الأدبي إذن يتحدد بالاندماج والتفاعل بين النص والمتلقي.

ولعل ما يمكن الإشارة إليه في هذا السياق أن: ." التفاعل عند (آيزر) قائم أساسا على التأويل عند القارئ بما يتجاوز ظاهر النص إلى ما وراء النص من معان، وبهذا التجاوز يقوم القارئ بعملية ردم الفراغات أو الفجوات التي يتركها النص، وتدفع القارئ إلى الغوص في أعماقه، بحيث تثير لديه عملية التخييل. وانطلاقا من هذا الخيال تحصل عملية التبادل والتأثير بين النص والقارئ. فالمعنى في هذه الحالة ينتج من خلال التفاعل بينهما." (مصطفى،2016: ص 164)

1.2. أفق الانتظار (Horizon of expectation) :

يبدو مفهوم "أفق الانتظار"، أو "أفق التوقع" مفهوما غامضا ملتبسا، نتيجة تعدد جذور هذا المصطلح، واختلاف أصوله، حتى عند "ياوس"؛ إذ يلاحظ "روبرت هولب" أن المشكلة في استخدام "ياوس" لمصطلح "الأفق" هي أنه عرّفه تعريفا غامضا؛ إذ يظهر هذا المصطلح ضمن جملة من الألفاظ والعبارات المركبة، مثل "أفق التجربة"، "أفق تجربة الحياة"، و"بنية الأفق"...أضف إلى ذلك أنه يستخدم هذا المصطلح بصور متباينة، فحينا هو عنده بمعناه عند "هانز جورج كادامير" " H.J.Gadamer" ، أي بوصفه مدى الرؤية الذي يشمل كل شيء يمكن رؤيته من موقع بعينه، وحينا يستخدمه بمعنى مجموعة المعايير والمقاييس التي يستعين بها القارئ في مواجهة النص. (كاظم،2003: ص 33)

والجدير بالذكر أن مفهوم "أفق الانتظار" يلعب دورا مركزيا في نظرية التلقي عند "ياوس" ، إذ يتكون حسب هذا الأخير من ثلاثة عوامل رئيسية:"(1) "التجربة القبلية التي يملكها الجمهور عن الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص الأدبي"، (2) "شكل الأعمال السابقة وموضوعيتها" والتي يفترض العمل الجديد معرفتها، أي ما يسميه الآخرون القدرة التناصية، (3) و"المقابلة بين اللغة الشعرية واللغة العملية، وبين العالم التخيلي والواقعية اليومية" (فرناند،وآخرون، 1998: ص 35)

إذن فـ "ياوس" يحدد مفهوم "أفق الانتظار" باعتباره مجموعة من المعايير والخبرات والأعراف الأدبية والجمالية، وقواعد النوع الأدبي التي يتمثلها القارئ في دراسته للنص. ومع ذلك يبقى مفهوم أفق الانتظار استراتيجية تعين الباحث على دراسة طبيعة التلقي، وخصوصيته في أية لحظة من تاريخ التلقي، وذلك بشرط أن نضع تطورات المفهوم بعين الاعتبار.

1.3 . المسافة الجمالية (Aesthetic distance) :

ويطلق عليها أيضا مصطلح "العدول الجمالي" " Ecart esthétigue "، للدلالة "على المسافة الفاصلة بين أفق التوقع السائد والأثر الأدبي الجديد الذي يمكن لتلقيه أن يؤدي إلى "تغيير في الأفق" ، سواء ذهب إلى معارضة التجارب المألوفة، أو إلى جعل تجارب أخرى غير مسبوقة تشق طريقها نحو الوعي، فإن هذا العدول الجمالي، الذي يتم قياسه اعتمادا على سلم ردود فعل الجمهور والأحكام التي يصدرها النقد(نجاح فوري، رفض أو إحداث صدمة، استحسان من قبل فئة محددة، فهم سريع أو متأخر)، يمكنه أن يصبح معيارا للتحليل التاريخي" (هانس،2014: ص 69) فالقيمة الفنية للنص إذن تكمن في نوعية استجابة النص لأفق القارئ؛ فإذا استجاب له بقبوله كان رديئا، وإذا استجاب له بتخييبه كان عديم الأثر. أما إذا استجاب له بتغييره . هذا يعني أنه جيد؛ "لذلك يتعين على الناقد أو المؤرخ الأدبي كما يتصوره ياوس، أن يحلل نوعية الاستجابة هذه، وذلك باستجماع تلقيات قراء ذلك النص المتعاقبين، أي خطاباتهم النقدية وفحصها بهدف الكشف عن طبيعة أثره في كل واحد منهم.(...) هذه إذن مهمة النقد الجديدة : تقدير القيمة الجمالية للأدب بتحديد نوعية آثاره وشدتها، اللتين يمكن استنباطهما من خطاباتهم النقدية. فكلما كان أثره قويا، أي بقدر انزياح النص عن معايير القارئ وتعديله لأفق توقعه، كان هذا النص ذا قيمة فنية عالية.فالمسافة الجمالية بين أفق النص وأفق المتلقي هي خير ما يمكن الاحتكام إليه لتحديد جمالية الأدب " (هانس، 2016: ص14)

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الحكم لا يخلو من اعتراضات؛ إذ إن "قياس المسافة الجمالية أمر ليس سهلا دائما، فليس بالإمكان تحديد تلك المسافة بين العمل والأفق بكل دقة وفي كل الأحوال، أضف إلى ذلك أن خرق الأفق وكسره ليس مقياسا صالحا أو كافيا في كل الأحوال." (كاظم، 2003: ص35)

1.4. مفهوم التواصل (Communication) :

تعددت تعريفات التواصل وتباينت، نتيجة اختلاف العلوم التي اهتمت به؛ حيث ينظر اللساني إلى اللغة، وعالم النفس إلى الذات المتحدثة، وعالم الاجتماع إلى الجماعة الناطقة، والمنطقي إلى المرجع...إلخ، ولكننا مع ذلك يمكن تعريفه تعريفا بسيطا وموحدا بأنه:"تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة، حيث تنطلق الرسالة من الذات الأولى نحو الذات الأخرى، وتقتضي العملية جوابا ضمنيا أو صريحا عما نتحدث عنه، الذي هو الأشياء أو الكائنات، أو بعبارة أشمل"موضوعات العالم"، ويتطلب نجاح هذه العملية اشتراك المرسل والمرسل إليه في السنن حتى يتم الإسنان والاستسنان على الوجه الأكمل كما أراد له المجتمع اللغوي، كما تقتضي العملية قناة تنقل الرسالة من الباث إلى المتلقي." (أوكان، عمر،2011، 20 أفريل)أي أن المرسل يعد بمثابة الطرف الأساسي في العملية التواصلية- وقد يحدث في بعض الحالات أن يشغل المرسل في الوقت ذاته وظيفة المرسل والمرسل إليه كما هو الشأن في حالة الحوار الباطني أو المونولوغ الداخلي- (الركيك، 2005: ص 69)،أما المرسل إليه فيعد الطرف الثاني الأساسي في العملية التواصلية، والذي يستقبل الرسالة، وهو المؤهل لفهمها وتأويلها.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن "صوسير" هو " أول بنيوي يؤسس لنظرية التواصل، وقد اعترف له البنيويون بقصب السبق في تأسيسه لنظرية التواصل من داخل اللسانيات البنيوية(...) وما يبرر كذلك الأهمية القصوى التي أعطاها صوسير لمفهوم التواصل قوله باعتباطية الدليل (العلامة) (...) أي أن الاعتباطية تستمد مشروعيتها التواصلية من التعاقدات والاصطلاحات المتفق عليها من قبل عشيرة لغوية ما. وعليه، فالدليل لا يخرج، تبعا لصوسير عن دائرة المجتمع الذي يحدد ميكانيزمات وآليات التواصل سواء كان لغويا أو غير." (الركيك، 2005: ص 67)

ولا ننسى الجهد الذي قدمه "رومان جاكبسون" بهذا الخصوص؛ "فأهم بحث قام به في هذا الشأن هو البحث القيم الذي نشره ضمن منشورات حلقة براغ 1929 والذي تناول فيه الوظائف المتعددة للغة، وقد جعله هذا العمل يتبوأ مصاف المنظرين الكبار لمفهوم التواصل(...) وأكّد على أهمية التكامل المعرفي والعلمي بين مختلف الحقول المعرفية بغية إغناء وإثراء هذا العلم الجنيني الذي لا يزال يشق طريقه ويبحث لنفسه عن موطئ قدم ومكانة داخل العلوم." (الركيك، 2005: ص68) فالمهد الأول للتواصل إذن هو علم اللسانيات، فما العلاقة التي تربط إذن نظرية الاتصال/التواصل ونظرية التلقي؟ ومن هم أبرز المنظرين لنظرية التلقي الذين عرفوا الدلالات الضمنية لنظرية التلقي المتعلقة بالاتصال؟

مما لا شك فيه أن نظرية التلقي قد أسهمت في هذا المشروع الواسع النطاق؛ ف "منذ 1966، لم تتوقف جمالية التلقي، المعروفة باسم "مدرسة كونسطانس" عن التطور لتتحول إلى نظرية للتواصل الأدبي. وينحصر موضوع أبحاثها في التأريخ الأدبي والجمهور، أي عملية جدلية تتم فيها دائما الحركة بين الإنتاج والتلقي بواسطة

التواصل الأدبي." (هانس، 2016: ص109)ولعل أبرز دليل على ذلك "أن كلا من إيزر وياوس ينهي أكثر أفكاره النظرية إقناعا، والمتعلقة بالتلقي أو الاستجابة. ينهيها بفقرات عن الاتصال، على نحو ما أنهى ياوس مقالته التي عنيت بدراسة التطهير. وفي وسع المرء أن ينتهي في يسر إلى أن نظرية التلقي لا بد أن تبلغ مداها في نظرية أعم في الاتصال. أو أن تصنف في طريقها." (هولب،2000: ص 109)وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن كلا من "إيزر" و"ياوس" يعدان من أبرز المنظرين الذين عرفا الدلالات الضمنية لنظرية التلقي المتعلقة بالاتصال؛ ف "إيزر" على سبيل المثال رؤيته حول الاتصال الأدبي تتلخص في كونه "نشاط مشترك بين القارئ والنص، يؤثر فيه أحدهما في الآخر، في عملية تنتظم من تلقاء ذاتها. ومن ثم فإن الفاعلية المستمرة للعمل الأدبي تكمن في الخبرة بعملية القراءة." (هولب، 2000: ص 168) ف"إيزر إذن ركّز اهتمامه على الطابع الاتصالي بين العمل الفني ومتلقيه من أجل تحقيق فهم أفضل للنصوص.

ومن المنظرين الذين عدَوا الوظيفة التواصلية هي بؤرة النظر عندهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر "هانز ألريخ جمبرخت"''Hans Ulrich Gunbrecht '' ، كارلهاينز شتيرله"''Karlheinz Steirle '' ، "رولف جريمنجر"''Rolf grimminger '' ، "جنتر قالدمان" ''Gunter Waldmann'' (هولب،2000: ص 169 -178).

2. تحليل الناقدة "آمنة بلعلى" للخطاب الصوفي في ضوء نظرية التلقي:

بعد التعرف على المفاهيم الخاصة بنظرية التلقي،التي اعتمدت عليها الناقدة في دراستها، سنحاول التعرف على الآليات التي استثمرت بها الباحثة هذه المفاهيم على الخطاب الصوفي.

1.2. إجراء المسافة الجمالية في دراسة الناقدة:

لعل المتمعن في دراسة الناقدة "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" وبالتحديد الفصل الأول من الدراسة؛ الموسوم بـ"وضع التلقي في خطاب فعل الحب" سيلاحظ أن إجراء "المسافة الجمالية" الذي جادت به دراسات "ياوس" متواجد داخل هذا العمل النقدي، وذلك من خلال بحثها عن مختلف أنماط ردود فعل القارئ اتجاه الخطاب الصوفي، وذلك ما سنوضحه فيما يلي:

أ/ تعارض الأفقين نص/ متلق:

في هذه القضية تشير الناقدة إلى التعارض الحاصل بين أفق النص/ الخطاب الصوفي وأفق المتلقي من خلال إبراز ردود أفعال القراء حول الخطاب الصوفي، وهذا انطلاقا من الأحكام التي يصدرونها بحقه.

ولعل أولى التعارضات التي سجلتها الناقدة بين الأفقين يتمثل في نص "رابعة العدوية" و"الحلاج" بترفعهما عن الغرض أو الأجر في تصويرهما العلاقة بينهما وبين الله؛إذ لا يبدو أن الخطاب الصوفي هنا متوافق مع تلك المعايير الأدبية ، فهو بوصفه خطاب انفجاري ذو طبيعة خاصة، نص يقاوم هذه المعايير ولا يستجيب لها؛ وهذا ما أشارت إليه الناقدة في قضية تصويرهم العلاقة بينهم وبين الله، وهي علاقة تجاوز الوسائط، وتنزع إلى المباشرة، وهذا طبعا ما لم يلق استجابة من قبل المتلقي في ذلك القرن(القرن3) نظرا لتعارض أفق النصوص الصوفية، وأفق المتلقي؛ إذ "أنزل المتصوفة الله في خطابهم منزلة حسية يُحبَ ويُحبَ، اقتضاها منطق البوح.غير أن هذا الوقع الذي كان إزاء الرسالة الفنية التي جسدت هذه العلاقة، كان باهتا إن لم نقل يدعو إلى الاستغراب، وهو تفاعل سلبي،

غذَته صرامة مقاييس التلقي المسبقة، التي لا يستجيب لها الخطاب الصوفي، والذي حمل أفق انتظار مغاير، ووعي جديد، لم يستطع المتصوفة أنفسهم كمتلقين لخطابهم، أن يقربوا المسافة الفاصلة بين الانتظار الموجود سلفا، والأفق الجديد الذي تحمله النصوص الصوفية. وذلك نظرا للمسافة التي تفصل الوضع التخيَلي للمتصوف باعتباره باثا والمتلقي المشمول إيديولوجيا وفنيا بوضع تخيَلي وأفق مغايرين، والسياق الذي يجمعهما، كالسياق الذي يجمع الوهم والواقع." (بلعلى، 2009: ص 28،29)

لقد استثمرت الناقدة في دراستها لبعض النصوص الصوفية في القرن 3، مفهوم المسافة الجمالية في صيغتها المتميزة عند ياوس، وذلك بالحكم على جمالية العمل الأدبي وأهميته انطلاقا من تخييب أفق توقعات القارئ.

وقد أشارت الناقدة في هذا السياق أيضا إلى التعارض بين الأفقين في غرض المتصوفة من استخدامهم للمجاز، والذي يختلف اختلافا كليا عما هو مألوف في الخطاب الرسمي؛ إذ " أن وسائل المجاز البسيطة التي اعتمدها المتصوفة، لم تستطع أن تندمج ضمن الأفق العام للتلقي، مع ما توهم به لأنها في الخطاب الرسمي مهما بلغ بها صاحبها في الإيهام والتضليل، كان الغرض منها هو المعنى الحقيقي الذي يسكن العلاقات بين عناصر تشبيه أو استعارة، في حين كانت بعض التشبيهات في شعر المتصوفة تعبَر عن أسرار ومعان لم يألفها المتلقي."(بلعلى، 2009: ص34)

فاستخدام المتصوفة للرموز في تصوير علاقتهم بالله هو ما أحدث كسرا في أفق انتظار المتلقي، وهذه هي طبيعة المسافة الجمالية التي حدثت بين الخطاب الصوفي والقراء، ولعل ردود الأفعال الرافضة هي التي تعكس الفعالية الفنية لذلك الخطاب.

ب/ توافق الأفقين: نص/متلق:

بعد أن قامت الناقدة "آمنة بلعلى" بوصف ملامح التعارض بين الخطاب الصوفي/شعر الحلاج بالدرجة الأولى والمتلقي، أشارت بالمقابل إلى التوافق بين الخطاب الصوفي/شعر بعض المتصوفة –ممن كيَف خطابه بحسب ردود فعل المتلقي(كالجنيد، الشبلي، ذو النون المصري)– والمتلقي .

لقد أوردت الناقدة مثالا عن توافق الأفقين، يكمن في شعر "ذي النون المصري"، والذي ربط حبَه لله بالغرض على عكس الحلاج تماما؛وهذا ما يتوافق وأفق انتظار القارئ، إذ" يرتبط الحب الذي يرسمه ذو النون بالغرض، فهو يحب الله لأنه مدى سؤله وموضع آماله. وهي سببية لها ما يبررها من فضل الله على الإنسان الغافل(...)وهي معان تعبَر عن أفق انتظار يحيل إلى البعد الفقهي المتداول لعلاقة العبد بالله، الذي يكوَن جملة ردود الأفعال تسعف المتلقي في أن يستجيب لفعالية الرسالة التي تناسب فيها قانون الإخبار مع الإمكانات البنيوية، والخيارات التركيبية والتصويرية فيه متوافقة مع قيمة المعاني المعروفة." (بلعلى، 2009: ص45)

إن هذا التوافق الحاصل بين المتلقي والنصوص السالفة الذكر، جعل هذا العمل ضعيفا ولا قيمة أدبية له.

ج/ تعديل الأفق:

لقد أشارت الناقدة في معرض دراستها للخطاب الصوفي، وخاصة عند المتصوفة المتأخرين، أنهم قدموا الجديد للمتلقي؛ وذلك من خلال اصطناع آليات للستر والإخفاء، لتمرير خطابهم؛ وتتمثل في اعتماد الغزل أفقا استبداليا لمشروعية الخطاب الصوفي، وهذا ما اعتمده "ابن عربي" حسب دراسة الناقدة؛"ولقد اعتقد ابن عربي

باستعادته للسان الغزل، أنَه يكون قد استعاد أفق انتظار له دلالته الجمالية والتاريخية، يسهم في دمج أفق متعلق بالخطاب الصوفي بدا له أن معاييره ليست لها القدرة الكافية على إحكام عناصر التواصل" (بلعلى، 2009: ص64)

وبالمقابل تشير الناقدة إلى آلية أخرى؛ تتمثل في استحضار مسبقات تلقي الوقوف على الطلل/ النصوص القديمة والمقارنة بينها وبين النصوص الحالية، بغية تكوين أفق جديد؛ إذ " إن استدعاء الطلل الذي يجرَ وراءه أفقه في التلقي، لا يحول دون تكوين أفق جديد يتم بما يدركه القارئ من النص حين يفهم مواطن الرمز والإيحاء فيه، وهي شروط أعطى ابن عربي في تأويله معالمها، لتكون بعد ذلك الحركة التي ينتقل بها القارئ عبر النص، من أجل بناء المعنى فيه. وهي بمثابة ردود الأفعال التي ينشأ عنها التفاعل بين المؤلف من جهة والنص والمتلقي من جهة أخرى" (بلعلى، 2009: ص 65)

إضافة إلى آلية التأويل، والتي تمنح للمتلقي دور المشارك في صناعة المعنى، ومن هؤلاء المتصوفة "ابن عربي"، والذي قام بتأويل شعره بغية توجيه المتلقي إلى امتلاك الآليات التي انضوت عليها عملية البثَ والإنتاج، " وإذا كان ابن عربي قد أعطى عملية الإنتاج، هذا الفهم فلأنه يشير منها إلى عملية التأثير وهي عملية متبادلة بين نص يستند إلى مرجعية مضمرة، ومتلق يستند هو الآخر إلى مقاييس معينة يتعامل بها مع نصوص سابقة، وقد يجد في النص الجديد معايير أخرى، تفرض عليه استبعاد المعايير القديمة واستبدالها بأخرى. ولم يكن الأمر سهلا بالنسبة للمتلقي لأن العملية تقتضي منه النظر إلى النص في مستواه الظاهري الحسَي، في الوقت الذي يرى فيه باطنا هو ما يحيل إليه ذلك المستوى الظاهر.لذلك بادر المؤلف نفسه وأخذ دور المتلقي ليقوم بعملية شرح وتأويل شعره " (بلعلى، 2009: ص 78)

إن هذا القناعة من قبل الناقدة تحيلنا إلى أنها قد استثمرت مفهوم التفاعل أيضا؛ التفاعل بين النص والمتلقي ؛ وخاصة في إشارتها إلى التأويل بوصفه آلية تمنح المتلقي الدور في صناعة المعنى.

لقد توصلت الناقدة من خلال دراستها لنصوص ابن عربي وتأويله لها، أن التأويل له دور كبير في تغيير الأفق، وبالتالي الوصول إلى مرتبة عالية من الجودة لهذه الخطابات.

وبالمقابل نجد أيضا مفهوم "أفق الانتظار" يلعب دورا أساسيا في تحليلها؛ من خلال استثماره في تشكَل ردود أفعال القراء، وكذا طبيعة تلقي هذا الخطاب.

إضافة إلى ذلك، يمكن القول بأن استثمار الناقدة لهذه المفاهيم النقدية السالفة الذكر، في تحليلها للخطاب الصوفي قد ساهمت في الكشف عن أسباب إشكالية التلقي الإيديولوجية والسياسية والجمالية؛ انطلاقا من تصوير علاقتهم بالله، والتي تتعارض وأفق المتلقي، مرورا باستخدامهم للرموز وأخيرا تفعيلهم لآلية الغزل والتأويل من أجل تمرير خطاباتهم.

2.2. آليات التواصل في دراسة الناقدة:

من الجدر بالذكر أن نشير إلى أن الناقدة قد استثمرت مفهوم التواصل في الفصل الثاني من الدراسة، والموسوم بـ "البديل الخطابي للتواصل"،من أجل البحث عن أزمة التواصل، من خلال رصد آليات التواصل داخل النص؛ (نصوص أبي حيان التوحيدي والنفري).

سنحاول التركيز في هذه القضية أولا على مظاهر الحوارية داخل النص عند التوحيدي، ثم نعمد بعد ذلك إلى التركيز على فعل التواصل مع الحقيقة والمعنى عند النفري.

أ/ مظاهر الحوارية/ التواصل داخل النص عند التوحيدي:

تشير الناقدة "آمنة بلعلى" في حديثها عن مظاهر التواصل داخل النص عند التوحيدي إلى بنيتين أساسيتين؛ من أجل الوقوف على طبيعة التشكيل الحواري عند التوحيدي، البنية المؤطرة، وتقصد بها:" تلك القوة الابتدائية التي تنطلق بها المناجاة، وتؤطر في الوقت نفسه خطابها، حيث يُبتدأ الحديث ويختتم بها." (بلعلى،2009: ص100)، وبنية الاستدراج؛ وفيها يهتم القارئ بالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه كيف تتشكّل داخل النص، وكيف استطاع الكاتب أن يضمن التفاعل واستمرارية النشاط الخطابي بينه وبين مخاطبه الذي يفترضه.(بلعلى،2009: ص 110)

- **البنية المؤطرة:**

تعد الناقدة "الدعاء" أحد مظاهر الحوارية داخل النص؛ إذ "يسهم الدعاء في فرض شروط التخاطب، ومن ثمة ضمان استمراره، لأنه كفعل كلام يدار به الحديث، يعطي له بعض هذه القوة الكلامية التي يمتلكها، والتي لا تتمثل في مدى صدقه، بقدر ما تتمثل في نجاحه عندما ينتهي الدعاء، لذلك غالبا ما يأتي الدعاء ليعكس إعلان المتكلم عن حصول الأثر، والمتمثل في ذلك الوفاق الذي يتمّ بينه وبين المخاطب." (بلعلى، 2009: ص 101) فبالدعاء إذن يحدث فعل التواصل والتفاعل بين المتكلم والمخاطب.

وهذا ما توصلت إليه حين دراستها لكتاب "الإشارات" لـ "التوحيدي"؛ إذ ترى أنه قد حقق فعل التواصل بينه وبين مخاطبه بفعل الدعاء؛ والذي يعد "بمثابة الدعامة الأساسية التي حقق بواسطتها التوحيدي استراتيجية التحاور، ولا أدل على ذلك من تلك المخاطبة التي أخفق فيها في إقامة تفاعل بينه وبين قوم بدأ يخاطبهم بدون دعاء." (بلعلى، 2009: ص 102)

إن هذا الإخفاق في التواصل في "الإشارات" –بحسب دراسة الناقدة –يدل على أن الدعاء لديه وظيفة أخرى إلى جانب وظيفته التدعيمية التوجيهية؛ إنها وظيفة تعويضية لانعدام رد الفعل من قبل المخاطب، وقد تفتح مسارا للخطاب مخالفا لما كان، كأن تؤدي إلى استمالة واسترضاء، بعد تأنيب وزجر، كما أن الدعاء بعدَه وحدة مؤطرة لا تكاد تختلف عن وعي تنظيم النص الذي كان قد أكّده كثير من النقاد القدامى، من تحسين الاستهلال، وحسن التخلص، ومواقف استعطاف السامع، واستمالته، ودفعه إلى أشياء وقبضه عن أخرى.(بلعلى، 2009: ص 104، 105)

إضافة إلى ذلك أشارت الناقدة إلى مظاهر أخرى للتواصل داخل النص في إشارات" التوحيدي"، تتمثل في محاولة خلق مخاطب هو بمثابة مرسل إليه متواطئ، متواجد داخل النصوص، يقوم التوحيدي على المحافظة على الاتصال والتواصل معه بواسطة الحوار؛ وذلك من خلال النداء الذي يتوجه به إليه، تحميله مسؤولية الحديث، وأحيانا يكون عنه، طرح أسئلة تفترض فهما وردا.(بلعلى، 2009: ص 108)

- **بنية الاستدراج:**

من خلال دراسة الناقدة لـ"إشارات" "التوحيدي" توصلت إلى أنه قد جسّد استمرارية النشاط الخطابي، بينه وبين القارئ داخل النص؛ وذلك باعتماده بنية الاستدراج في مخاطباته، والتي بناها من خلال:

النداء: والذي يعد بمثابة دعوة للمخاطب من أجل المشاركة في الحديث، إذ "يبدو فعل النداء في "الإشارات" مطلبا طبيعيا لكلّ فعل إبلاغي، فالإنسان ما يتكلم إلا ليشرك معه مخاطبا ما، حتى وإن انشق ذلك المخاطب عنه، عندما يحاول أن يجد نفسه في ما يغايرها."(بلعلى،2009: ص 110)

السماع: والذي يعد بمثابة الأساس الذي ينبني عليه المشاركة في الخطاب في نظر التوحيدي؛ "لذلك نراه بعد النداء يطلب من مخاطبه أن يستمع إليه، ويتكرّر هذا الطلب في أغلب المخاطبات، لأنّه بحصول فعل الإقبال بعد النداء، يحصل فعل السماع، ومن ثمة فعل التخاطب."(بلعلى، 2009: ص 111)

إن الناقدة تؤكد بأن السماع في نظر "التوحيدي" لا يؤدي فقط دور فعل المشاركة في التخاطب، ولكنه أيضا يحلّ به إشكال عدم التجاوب الذي يلاقيه من مخاطبه، حيث "يبدأ المتكلم في استدراجه المخاطب بتقديم عروض مختلفة لإنشاء الحديث تحمل في طيّاتها توقع قابلية حصول التفاعل، نظرا للإغراءات التي يقدّمها بحصول الفائدة النفسية خاصة، وعلى الرغم من أنّه يضع شروطا للتواصل، حيث لا يرغب في أن يكون الحديث الذي ينشئه قائما على التنافس وإثارة الغلبة من موقع استعلائي، إنّما على إتيان الفائدة التي تظهر آثارها في النفس والهيئة كالبشر والتأثر والفهم والقبول بالنسبة للمخاطب، وقوة الإقناع والإمتاع، والمداراة باللطف وإسداء النصح وغيرها مما يتوفر في المتكلّم." (بلعلى، 2009: ص 111،112) فالناقدة استخرجت من "الإشارات" لـ"التوحيدي" دلائل تؤكد إصراره على استدراج الآخر عن طريق البحث عن الإغراءات من أجل حصول التفاعل بينه وبين متلقيه.

والجدير بالذكر أن الناقدة أشارت في هذا المقام إلى أن بنية الاستدراج قد سمحت للمتكلم والمخاطب بتعدد المواقف الخطابية، وتعدد ذواتهم وتداخلها؛نتيجة تداخل أفعال الكلام، وهذا ما تجسده إشارات التوحيدي؛ إذ "نلاحظ في هذا النموذج المختصر من الإشارات كيف تتعدد أفعال الكلام، مما يفرض تعددا في الذات المسؤولة عن فعل الكلام، وذلك باختلاف الوظيفة الخطابية لها، فتبدو ذاتا كلية حين الإقرار بإخبار، وتارة جازمة وأخرى مقموعة، وغيرها." (بلعلى،2009: ص 119)

المحاججة: والتي تعد بمثابة القانون الإلزامي الذي يحقق فعل التواصل في "الإشارات" للتوحيدي؛ وقد أكّدت الناقدة ذلك بقولها:" يبدو التوحيدي في أغلب المخاطبات ملتزما بالحجة، قولا وإنجازا، يطالب بها الطرف الآخر، باعتبارها قانونا للممارسة الخطابية التي تحفظ فيها حقوق المتخاطبين وواجباتهم التي لا تخرج عن المعيار المنطقي والخلقي في الوقت نفسه، الذي أساسه الصدق في القول، وجلب المنفعة للآخر، كأن يكون أثرا يحدث في النفس ويؤدي إلى فعل ما، ويعتبر السبق الزمني والمعرفي أساس الاعتراف بحق الغير، كما لا يجب إيراد الحجة من أجل إلحاق الضرر المعنوي بالآخر." (بلعلى، 2009: ص 122)

إن اعتماد "التوحيدي" في "الإشارات" على شواهد حجاجية جاهزة، في نظر الناقدة إنما كان من أجل الدفع بالتحاور إلى أقصاه أولا، وبعد ذلك عندما يحس بأن كفاءته اللغوية لم تعد قادرة على مواصلة المسار التواصلي،

تكون بمثابة البديل ثانيا، وقد تأتي لتؤدي وظيفة تدعيمية ثالثا؛ وهذا ما أكّدته من خلال دراستها لبعض المقطوعات الحجاجية تقول:" إن هذه المقطوعات الحجاجية الصناعية، غالبا ما تؤدي وظيفة التدعيم، إلى جانب وظيفة إعادة التوازن بين المتكلم والمخاطب، بعدما يعتري العملية التخاطبية نوع من الخفوت في التفاعل، أو حين يعتقد المتكلم ذلك الخفوت بعدما يكون آخذا في معنى(...) ذلك ما لاحظناه من خلال النموذج السابق، كيف يوجّه المخاطب عمّا كان يتحدث فيه ليشكك متسائلا عن مدى التفاعل معه، ليدعوه إلى أقوال بعض العارفين، ليزيل ذلك الالتباس ويضمن استمرار التخاطب." (بلعلى، 2009: ص 127)

فالناقدة إذن قد استثمرت مفهوم التواصل من خلال بحثها عن مظاهر الحوارية داخل النص عند التوحدي، وكان ذلك في "الإشارات" ؛ إذ توصلت إلى أن مظاهر التواصل داخل النص قد تحقق من خلال بنيتين؛البنية المؤطرة، من خلال الدعاء والنداء، وبنية الاستدراج من خلال النداء والسماع والمحاججة.

ب/ سؤال المعنى وبدائله عند النفري:

تحاول الناقدة البحث عن فعل التواصل مع الحقيقة والمعنى عند "النفري"، وذلك من خلال التشكيل الخطابي لـ"المواقف والمخاطبات"، والذي يتمحور حول نقطتين:

- **درجة الخصوص وفعل القطيعة:**

من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الناقدة ترى بأن فعل القطيعة مع الذات يبدأ ببلوغ درجة الخصوص والولاية، ومن ثمة بداية التواصل الحقيقي، وهذا ما وجدته عند دراستها لـ"المواقف والمخاطبات" لـ"النفري"، تقول:" هنا يبدو أن القطيعة ليست فعلا مواكبا لعملية النزوع، ولكنها تبدأ مع حصول الأثر، حين يكشف للعارف، ويؤذن له بالولاية. وهي بهذا المعنى ليست خاطرا أو صورة يتمثل فيها الصوفي نفسه قريبا من الله نتيجة حال من أحوال الخبراء التي يحصل عليها أثناء رحلته، بل هي موقف نهائي نتيجة بلوغ المتصوف نهاية الطريق، ولعل ما في هذه الولاية من إيجابية هو الوقوف عند الله ومخاطبته إياه، تماما كما يحدث للنبي في أثناء الوحي." (بلعلى، 2009: ص 139) فالتواصل مع الله إذن يحدث بحصول الولاية ودرجة الخصوص التي يتوصل إليها السالك.

إن الناقدة تؤكد بأن القطيعة عند"النفري" "لحظات وجدانية رمزية، عاشها بعد حصول الاتصال، وتعتبر دليلا وشاهدا على معرفة الواصل لله(...) لذلك بدت المواقف والمخاطبات باعتبارها خطاب ما بعد المعرفة تحيل إلى عالم ما قبل المعرفة، كما تحيل كذلك إلى عالم الرؤية والثبوت فيها." (بلعلى، 2009: ص 139)

من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الناقدة تحاول البحث في بنية التشكيل الخطابي لـ "المواقف والمخاطبات" لـ "النفري" عن مظاهر التواصل مع الله.

- **المعادل الخطابي لفعل القطيعة:**

مما لا شك فيه أن الناقدة لم تكتف بالبحث في التشكيل الخطابي لـ "المواقف والمخاطبات" لـ "النفري" عن مظاهر فعل القطيعة فقط، بل تعدت ذلك إلى البحث عن المعادل الخطابي لفعل القطيعة، والذي يتجلى من خلال:

عدم الرد: ترى الناقدة "آمنة بلعلى" أن المواقف التي يرد فيها المخاطب في "المواقف والمخاطبات" تعد بمثابة البديل الخطابي لفعل القطيعة مع الله، ومن ذلك الصمت/عدم الرد "ذلك أن الذي يهم في الأمر يقع بين تقديمه وتأخيره، ومن يستفهم في الحديث يقع بين محوه وثبته، والمطلوب هو الفعل لا غير. وهنا تتجلى العبودية في أدق معانيها، فلا يجب أن يقف العبد موقف الندَ مع الله. وبذلك تكون المواقف والمخاطبات ممارسة لفعل العبودية وبديلا خطابيا لهذه الممارسة في الوقت نفسه." (بلعلى، 2009: ص 155)فالصمت إذن يحقق التواصل مع الله؛ لأنه يعد من أهم آداب المجالسة، وهو دليل قاطع على ممارسة العبودية على أكمل وجه.

الاستدلال: إن الناقدة ترى أن "النفري" قد اعتمد في "المواقف" على الاستدلال بغية إنشاء المعنى وتجسيد فعل القطيعة وحصول البدائل، وقد أكدت ذلك بتمثيلها لذلك بنماذج منه؛تقول: "يقف النفري في هذا النص كما يقف في بقية نصوصه، عند كلمات وعبارات يعرفها المتلقي، غير أنه يوقف معانيها المتعارف عليها، ويقيم فيها معاني أخر تخرجها من التحديد إلى نوع من الإبهام، بجعل المجرد مكانا(...) وتصبح الدلالة تخيلية غير مقترنة بمرجع معروف. وإن كان النفري ومن خلال الطريقة الاستدلالية التي يقيمها بين الجمل وينشئ من خلالها المعنى، يحيل إلى مرجع في النص ينشئ القارئ به المعنى، وبحسب طريقة استيعابه، ومن خلال معبره التصوري." (بلعلى، 2009: ص 159) فالناقدة ترى أن "النفري" من خلال نصوصه يعكس تجربة تأويلية يسعى من خلالها إلى إقامة التواصل مع الله.

وفي المقابل تشير الناقدة في هذا الصدد إلى قضية أخرى، قضية التصادم الذي يمكن أن يحدث مع نصوص "النفري"،إذ ترى بأن عدم التواصل بين النص والمتلقي راجع إلى عدم الاشتراك في السنن بينهما، وهذا ناتج عن طبيعة الخطاب الصوفي، "وتلك هي طبيعة المسافة الجمالية التي حدثت بين الخطاب الصوفي والقراء، ولعلَ ردود الأفعال الرافضة هي التي تعكس الفعالية الفنية لذلك الخطاب، لأن الآثار الخالدة هي التي تخيب انتظار الجمهور، وترفض إلى أن يُخلق جمهورها الذي يتواصل ويتفاعل معها، وإن متلقيا ترسخت في ذهنه سنن ومعايير التلقي الموجّه لم يكن في وسعه أن يستوعب الخرق الذي مارسه النفري في المواقف والمخاطبات." (بلعلى، 2009: ص 166) وهنا يتجلى بوضوح استثمار الناقدة لمفهوم أفق الانتظار في دراستها لطبيعة التلقي لنصوص النفري "المواقف والمخاطبات "كما أشار إليها "ياوس "بوصفها مجموعة من المعايير التي يتمثلها القارئ في دراسته للنص.

إذن، ومن خلال دراسة الناقدة الجزائرية "آمنة بلعلى" لـ "الإشارات الإلاهية" للتوحيدي" و"المواقف والمخاطبات" لـ "النفري"، وبحثها عن مظاهر التواصل داخل هذه النصوص، نستنتج أنها قد استثمرت مفهوم التواصل الذي يعد جوهر نظرية التلقي؛ من خلال تجسيدها التفاعل والتواصل من خلال أفعال الكلام واستراتيجية التحاور القابعة داخل تلك النصوص.

الخاتمة: تعد دراسة الناقدة الجزائرية "آمنة بلعلى" "تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة"من أبرز الدراسات النقدية التطبيقية، التي قاربت الخطاب الصوفي بالاعتماد على نظرية التلقي، على مستوى النقد

العربي، وليس الجزائري فقط، وذلك كما وردت عند روادها في النقد الغربي، إذ استندت على الإجراءات والمفاهيم النقدية الخاصة بتلك النظرية، وطبقتها على الخطاب الصوفي، سواء عند المتقدمين أو المتأخرين.

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة، وبحثنا عن إشكالية التلقي في تحليل الناقدة للخطاب الصوفي إلى مجموعة من النتائج، يمكن تلخيصها فيما يلي:

1. إن الخطاب الصوفي خطاب يسمح لقرائه بدراسته بمناهج حداثية، ولهذا نقترح على الدارسين أن يلتفتوا إلى هذا الخطاب بالدراسة والتحليل.
2. لقد استثمرت الناقدة أهم مفاهيم نظرية التلقي، والمتمثلة في "مفهوم التفاعل"، "أفق الانتظار"، "المسافة الجمالية"و"مفهوم التواصل" في تحليلها للخطاب الصوفي،وخاصة في صيغتها المتميزة عند كل من الناقدين الألمانيين "ياوس" و"إيزر".
3. نلاحظ أن إجراء "المسافة الجمالية" الذي جادت به دراسات "ياوس" متواجد داخل هذا العمل النقدي، وذلك من خلال بحثها عن مختلف أنماط ردود فعل القارئ اتجاه الخطاب الصوفي.
4. يظهر بوضوح استثمار الناقدة لمفهوم أفق الانتظار في دراستها لطبيعة التلقي لنصوص النفري "المواقف والمخاطبات "كما أشار إليها "ياوس "بوصفها مجموعة من المعايير التي يتمثلها القارئ في دراسته للنص.
5. لقد استثمرت الناقدة مفهوم التفاعل ؛ التفاعل بين النص والمتلقي ؛ في إشارتها إلى التأويل بوصفه آلية تمنح المتلقي الدور في صناعة المعنى.
6. يتجلى توظيف الناقدة لمفهوم التواصل من خلال بحثها عن مظاهر الحوارية داخل النص عند التوحيدي، وكان ذلك في "الإشارات" ؛ إذ توصلت إلى أن مظاهر التواصل داخل النص قد تحقق من خلال بنيتين؛ البنية المؤطرة، من خلال الدعاء والنداء، وبنية الاستدراج من خلال النداء والسماع والمحاججة.
7. لقد كشفت الناقدة من خلال دراستها لـ "المواقف والمخاطبات" للنفري أن فعل التواصل مع المعنى يتحقق من خلال التشكيل الخطابي لها، والذي يتمحور في درجة الخصوص وفعل القطيعة والمعادل الخطابي لفعل القطيعة.
8. لقد كشفت الناقدة عن أسباب إشكالية التلقي الإيديولوجية والسياسية والجمالية من خلال استثمارها لمفاهيم نظرة التلقي.

– قائمة المراجع

- أوشان، علي آيت.(2000م). السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- أوكان، عمر . (2011، 20، أفريل). اللسانيات والتواصل.تم لسترجاعها في 15 أكتوبر 2020م من موقعpost2modernisme.blogspot.com
- بلعلى، آمنة. (2009م). تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، (ط3). الجزائر :دار الأمل للنشر والتوزيع.

- الركيك،مُحَمَّد.(2005م). "نظرية التواصل في ضوء اللسانيات الحديثة". مجلة علامات، العدد 24، ص69.
- فولفغانغ، إيزر.(1995م). فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب(في الأدب). ترجمة لحمداني، حميد ، و الكدية، الجلالي .فاس: منشورات مكتبة المناهل ..
- سمير، حميد. (2005م). النص وتفاعل المتلقي في الخطاب الأدبي عند المعري. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- كاظم، نادر .(2003م).المقامات والتلقي، بحث في أنماط التلقي لمقامات الهمداني في النقد العربي الحديث.(ط1). عمان :دار الفارس للنشر والتوزيع.
- محفوظ، عبد اللطيف، وبن دحمان، جمال. (2009م). مُحَمَّد مفتاح المشروع النقدي المفتوح (السيميائيات- التداوليات). بيروت، الجزائر :الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف.
- هالين، فيرناند، وآخرون.(1998). بحوث القراءة والتلقي. (ط1). حلب: الاتحاد الحضاري، ترجمة مُحَمَّد خير البقا، مركز
- مصطفى ،خالد علي ، و عبد الرضى عبد الرزاق، ربى. (2016م). "مفهومات نظرية القراءة والتلقي". مجلة ديالى، العدد 69 ، ص164.
- هانس، روبرت ياوس.(2014م). نحو جمالية للتلقي، تاريخ الأدب تحدَ لنظرية الأدب. (ط1). سورية، دمشق: النايا للدراسات والنشر ترجمة مساعدي، مُحَمَّد.
- هولب، روبرت. (2000م). نظرية التلقي، مقدمة نقدية. ترجمة اسماعيل، عزالدين. (ط1)، القاهرة: المكتبة الأكاديمية.
- هانس، روبيرت ياوس.(2016م). جمالية التلقي، من أجل تأويل جديد للنص الأدبي.ترجمة رشيد بنحدو. (ط1). مصر: كلمة للنشر والتوزيع .